

الملكة البلاغية والمفاهيم المقاربة. دراسة تحليلية مقارنة

Rhetorical Competence and Related Concepts: A Comparative Analytical Study

د.إسلام ميلاط¹المركز الجامعي مغنية، تلمسان (الجزائر) ¹ www.milatislam682@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2026/01/14 تاريخ القبول: 2026/04/27 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

يعالج هذا البحث إشكالية مصطلح الملكة البلاغية في ضوء تداخله مع مصطلحات لغوية ومعرفية مجاورة، وينطلق من تتبع جذوره الدلالية وتمثلاته في التراث البلاغي والدراسات المعاصرة للكشف عن خصوصيته الاصطلاحية، وبيان أوجه التقاطع والتمايز بينه وبين تلك المصطلحات، وذلك بهدف إبراز القيمة المنهجية للمفهوم في الدرس البلاغي المعاصر، وتقويم مدى صلاحيته للتداول العلمي، واقتراح تصورٍ تركيبي يساهم في رفع درجة الوضوح والانسجام الاصطلاحي في الدراسات البلاغية الحديثة.

وقد توسّل البحث بالمنهج الوصفي التحليلي المقارن، وخلص إلى نتائج منها: أنّ هذه المصطلحات تمثل مراحل أو مستويات مختلفة من الكفاءة ولا ترقى منفردة إلى مستوى الملكة، ومنها: أنّ الملكة البلاغية قدرة ذهنية راسخة تتكوّن بالتعلّم والممارسة الطويلة وتتميّز بالثبات والتمكّن والإنتاج التلقائي للخطاب، ومنها: ضرورة تحرير المفهوم ترشيحاً لاستعماله وتفاعلياً للخلط المنهجي في الدرس البلاغي الحديث.

الكلمات المفتاحية: الملكة البلاغية، الذوق، المفاهيم، الكفاءة، القدرة، المهارة.

Abstract:

This study examines the concept of *rhetorical competence* in light of its overlap with related linguistic and cognitive terms. It traces its semantic roots and manifestations in classical rhetorical heritage and contemporary studies in order to clarify its terminological specificity and distinguish it from adjacent concepts. The study aims to highlight the methodological value of the concept in modern rhetorical research, assess its scientific validity, and propose an integrative framework that enhances terminological clarity and coherence.

Adopting a descriptive, analytical, and comparative approach, the study concludes that these related terms represent different levels of competence and do not individually amount to a rhetorical *malaka*. It also finds that rhetorical competence is a stable cognitive ability developed through learning and sustained practice, characterized by mastery and spontaneous discourse production. The study further emphasizes the need to refine the concept to avoid methodological confusion in contemporary rhetorical studies.

Keywords: Rhetorical competence, taste, concepts, competence, ability, skill.

*المؤلف المرسل: د. ميلاط إسلام

1. مقدمة

يُعدّ مصطلح الملكة البلاغية من المصطلحات الإشكالية في الدرس البلاغي؛ لاتساع دلالاته المفهومية، وتعدّد استعمالاته، وتقاطعه مع جملة من المفاهيم القريبة منه لفظاً أو معنى، مثل: الذوق، والمهارة، والسليقة، والطبع، والقدرة، والكفاءة. وقد أدّى هذا التداخل المفاهيمي إلى نوع من الغموض والاضطراب في توظيف المصطلح، سواء في الدراسات التراثية أو في المقاربات اللسانية والتداولية المعاصرة، مما يجعل الحاجة ملحة إلى ضبط حدوده المفهومية، وتحرير دلالاته الدقيقة، وردّ كل مصطلح إلى مجاله المعرفي الصحيح.

وإذا كان مصطلح الملكة البلاغية لم يرد بصيغته الاصطلاحية الصريحة في المدونات البلاغية التراثية، فإنّ مضمونه كان حاضراً بوضوح في تصورات البلاغيين الأوائل، الذين عبّروا عنه بعبارات متعدّدة، عكست إدراكهم لكون البلاغة قدرة راسخة، تتكوّن بالتدرّب والمعايشة الطويلة لأساليب العرب، وتُمكن صاحبها من إنتاج الخطاب البليغ إنتاجاً تلقائياً محكماً. كما يمتد هذا التصور في أعمال عدد من الباحثين المحدثين، الذين وإن اختلفت مصطلحاتهم، فإنهم يلتقون عند الإطار المفهومي نفسه، مما يدل على رسوخ فكرة الملكة وإن تنوّعت تجلياتها الاصطلاحية.

وانطلاقاً من هذا المعطى، يسعى هذا البحث إلى تتبّع المصطلحات المقاربة لمفهوم الملكة البلاغية، والكشف عن أوجه التداخل والاختلاف بينها من خلال قراءة تحليلية مقارنة، تستند إلى المعاجم اللغوية والنصوص البلاغية التراثية والدراسات اللسانية والتربوية المعاصرة. وتهدف هذه المقاربة إلى تحرير المفهوم، وبيان خصائصه المميّزة، وتحديد موقعه ضمن شبكة المفاهيم المرتبطة بالأداء اللغوي والبلاغي، بما يساهم في ترشيد استعماله، وتفادي الخلط المنهجي في توظيفه داخل الدراسات البلاغية الحديثة.

2. تعريف الملكة البلاغية

1.2 الملكة لغة:

إذا رجع الباحث إلى ما تورده المعاجم اللغوية في بيان دلالات الجذر (م ل ك)، تبين له اتساع استعمالاته وتنوّع معانيه في العربية. فقد قرّر ابن فارس (ت 395هـ) أنّ هذا الجذر يقوم على أصل دلالي صحيح يفيد معنى القوة والشدة والرسوخ، يقول: " الميم والكاف واللام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قوّة في الشّيء وصحّة، يُقال: أَمَلَكُ عَجِينَهُ: قَوَّى عَجَنَهُ وشَدَّهُ، وَمَلَكْتُ الشّيءَ قَوْنْتُهُ " (فارس، 1979م ، صفحة 351).

ويقول ابن منظور (ت 711هـ): " المَلَكُ والمَلَكُ اختِواءُ الشّيءِ والقُدْرَةُ عَلَى الاسْتِبْدَادِ بِهِ، وَطَال مَلَكُهُ وَمَلَكُهُ وَمَلَكْتُهُ (عن اللحياني) أي رَفَعَهُ. ويُقال: إِنَّهُ حَسَنُ الْمَلَكَةِ والمَلِكِ، وَفِي الْحَدِيثِ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّءُ الْمَلَكَةِ، مُتَحَرِّكٌ؛ أي الذي يُسِيءُ صَحْبَةَ الْمَمَالِكِ، ويُقال: فَلَانٌ حَسَنُ الْمَلَكَةِ إِذَا كَانَ حَسَنَ الصَّنِيعِ إِلَى مَمَالِكِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: حُسْنُ الْمَلَكَةِ نَمَاءٌ، هُوَ مِنْ ذَلِكَ " (منظور، 2006م، صفحة 177). ويقول الفيروزآبادي (ت 817هـ) " مَلَكُهُ يَمْلِكُهُ مَلَكًا،

مُثَلَّثَةً، وَمَلَكُهُ، مَحَرَّكَةً، مَمْلُكَةً، بضمّ اللّام أو يُثَلَّثُ، اَحْتَوَاه قَادِرًا عَلَى الاسْتِبْدَادِ بِهِ، وَمَالُهُ مِلْكٌ، مُثَلَّثًا وَيُحَرَّكُ، وَبِضْمَتَيْنِ: شَيْءٌ يَمْلِكُهُ، وَأَمْلِكُهُ الشَّيْءُ، وَمَلَكُهُ إِيَاهُ تَمْلِكَا بِمَعْنَى" (الفيروزآبادي، 1979م، صفحة 310).

من خلال استقرار هذه الدلالات المختلفة، يتّضح أنّ الجذر (م ل ك) ينتظم في إطار معنيين كليّين لا يكاد يخرج عنهما استعماله اللغوي، وهما:

التمكن من الشيء وإحكام السيطرة عليه.

والقدرة على التصرف فيه، سواء تعلّق ذلك بأمر حسيّ مادي أم بمعنى ذهني أو معنوي.

2.2 الملكة اصطلاحاً: تنوّعت تعريفات الملكة في التراث الفكري بتنوّع الحقول المعرفية التي تناولتها؛ فحظيت بعناية الفلاسفة، وتداولها الأصوليون، واستعملها اللغويون، وكلّ نظر إلّهما من زاوية تخصّ مجاله وأدواته التصورية. غير أنّ هذه التعدّدات، على اختلاف منطلقاتها، تلتقي في الإقرار بكون الملكة وصفاً ثابتاً مكتسباً، يتجلّى أثره في حسن الأداء وجودته. ولأجل تجنّب الإطالة وتشتّت المسار، سنقتصر هنا على تعريف ابن خلدون لما له من شمول ودقّة، ثم نخلص منه إلى تعريف جامع موجز.

عرّف ابن خلدون الملكة (ت808هـ) بقوله: "صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته، وعلى نسبة الأصل تكون الملكة... وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته" (خلدون، 1981م، صفحة 505). يفهم من هذا التعريف أن الملكة لا تكتسب دفعة واحدة، بل تتشكّل تدريجياً بفعل التكرار والممارسة العملية. وقد حدّد ابن خلدون ثلاث مراحل رئيسة لرسوخ الملكة، في وصف دقيق يعدّ من النفاثات المفهومية في "المقدمة"، إذ يقول: "والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرّر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة" (خلدون، العبّر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والتّبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 1981 م، صفحة 506).

والتعريف الجامع الذي نراه هو أنّها: "حالة ثابتة في النفس ينتج عنها أداء الأفعال بسهولة وإتقان من غير فكر ولا روية".

فقولنا: "حالة ثابتة في النفس" يفيد أنّ الملكة ليست سلوكاً عابراً ولا قدرة مؤقتة، بل هي خاصية مكتسبة تستقر في البنية الذهنية والوجدانية للإنسان حتى تغدو جزءاً من تكوينه المعرفي والسلوكي. وهذا الاستقرار لا يتحقق فجأة، وإنما يتكوّن عبر المران الطويل، والتكرار المقصود، والمزاولة المنتظمة، إلى أن تتحول الأفعال الصادرة عنها إلى أنماط أداء مألوفة، تجري على اللسان أو القلم أو الفكر بسلاسة، دون استدعاء جهدي أو مراقبة شعورية مستمرة.

وأما قولنا "ينتج عنها أداء الأفعال بسهولة وإتقان" فيشير إلى الأثر العملي لهذه الحالة الراسخة؛ إذ يصبح صاحب الملكة متمكّناً من إنجاز ما يتصل بها من أعمال من غير مشقة أو تصنّع، مقروناً بالجودة والدقة وسلامة

الأداء. فالمملكة لا تعني مجرد سرعة الإنجاز أو يسره، بل تتضمن الإحكام والتمكّن، بحيث يغلب على الأداء الصواب ويقلّ فيه الخطأ، ويبلغ مستوى مرتفعاً من الكفاءة. ويتجلى ذلك بوضوح في مثال متعلّم النحو الذي يبدأ بحفظ القواعد وفهمها، ثم يدرب نفسه على تطبيقها في الكلام والكتابة، ومع الاستمرار تتحول هذه القواعد من معارف ذهنية إلى قدرة مستقرة، فينطق سليماً من غير أن يستحضر القاعدة أو يستحضر الإعراب في كل موضع.

ويكشف هذا المثال عن انتقال جوهري من المعرفة النظرية إلى الممارسة التلقائية، حيث يغدو التطبيق اللغوي صحيحاً وعفوياً في آن واحد، ولا يتحقق هذا التحول إلاّ بالمثابرة والتدرّج، مما يدلّ على أنّ التحصيل النظري وحده غير كافٍ، ما لم يُدعم بتطبيق عملي متواصل ومنظّم، فالإتقان ثمرة تراكم الخبرة لا نتيجة لحظة تعلّم عابرة.

وأما قولنا "من غير فكر ولا روية" فهو تأكيد لخاصية التلقائية التي تميّز المملكة؛ إذ تصدر الأفعال عنها بسرعة وانسياب، دون توقّف للتأمّل أو الحاجة إلى مراجعة ذهنية في كل مرة. فالمملكة تُبسّط ما كان في أصله معقّداً، لأنها تنقل العمليات العقلية من حيّز الوعي المقصود إلى مستوى الأداء شبه الآلي، على نحو ما نراه في قيادة المركبات أو العزف على الآلات الموسيقية؛ حيث يبدأ التعلم بتركيز شديد، ثم ينتهي إلى أداء سلس لا يتطلب جهداً شعورياً في كل خطوة.

وعليه، تمثّل الملكة مرحلة متقدمة في سلّم التعلم والتمرس، يتجاوز فيها الفرد حدود المعرفة المجردة إلى أفق الإتقان العملي والتلقائية، وهو ما يجعلها غاية مركزية في مختلف العلوم والمهارات، سواء أكانت عقلية أم لغوية أم فنية أم يدوية.

3. البلاغية: نسبة إلى البلاغة، وهي تدلّ في أصل معناها اللغوي على الوصول والبلوغ والانتهاء، وقد بيّن ابن فارس أنّ أصل هذه الكلمة يعود إل الجذر الثلاثي (ب ل غ) الذي يدلّ على معنى الوصول إل الشيء، " تقول: بلغت المكان: إذا وصلت إليه... وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان؛ لأنه يبلغ بها ما يريده، ويقال: لي في هذا بلاغ، أي كفاية " (فارس، مقاييس اللغة، 1979).

وأما في الاصطلاح فقد عرّف الخطيب القزويني (ت 739هـ) البلاغة بقوله: "البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، مع فصاحته"، وهذا تعريف يُبرز الأساس الذي تقوم عليه البلاغة من حيث الجمع بين سلامة التعبير ومناسبته للمقام. فالفصاحة وحدها لا تكفي للحكم على الكلام بالبلاغة، ما لم تُراعَ ظروف الخطاب وأحوال المخاطبين ومقاصد المتكلم، إذ إن تحقيق هذه المناسبة هو الذي يمنح الكلام قوّته التأثيرية وقدرته الإقناعية.

ومن خلال هذا التعريف يمكن استخلاص العناصر الرئيسة التي تقوم عليها البلاغة عند القزويني، وأهمها: دقّة اختيار الألفاظ، وصحة البناء التركيبي وخلوّه من العيوب إلى جانب انتقاء الأسلوب الملائم للسياق والمخاطب،

مع العناية بحسن الابتداء والانتهاء. فالكلام البليغ عنده هو ما اجتمعت فيه جودة الصياغة مع ملاءمة المقام، لا ما اقتصر على صفاء الألفاظ وحده.

كما فرّق القزويني بوضوح بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم، فعرف الثانية بقوله: "وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ"، يتبين من هذا التعريف أنّ بلاغة المتكلم ليست معرفة نظرية بقوانين البلاغة فحسب، وإنما هي قدرة راسخة تُكتسب بالممارسة والمران، تمكّن صاحبها من إنشاء الكلام البليغ متى شاء، وفي مختلف الموضوعات والمقامات.

ومن ثمّ يظهر الفرق جلياً بين من يلمّ بقواعد البلاغة حفظاً ودراسة، وبين من يمتلك هذه الملكة بالفعل؛ فالأول قد يوفّق في بعض المواضع ويخطئ في غيرها، بينما الثاني يصدر عنه التعبير البليغ على نحو تلقائي من غير تكلف أو تردد. ومن ثمّ، فإن بلاغة المتكلم لا تعني إيراد عبارة بليغة عَرَضاً، بل تعني امتلاك القدرة المستمرة على صياغة الكلام البليغ صياغة مناسبة للمعنى والسياق في كل مقام.

4. الملكة البلاغية: على الرغم من المكانة المحورية للملكة البلاغية في علوم اللغة، ولا سيما في علم البلاغة، فإن المتتبع لمُدَوّنات هذا الفن لا يقف في الغالب على تعريف اصطلاحي جامع مانع لها بوصفها ملكة عقلية ولسانية مخصصة. ويُعزى هذا الغياب، في الأغلب، إلى أحد أمرين: إمّا أنّ البلاغيين عبّروا عن هذا المفهوم بطرائق ومصطلحات متعدّدة أدّت معناه دون تسميته الصريحة، أو أنّ حضوره كان ضمنيّاً ومتوافقاً عليه في الوعي البلاغي، فاستغنى ذلك عن تحديده في تعريف مستقل.

غير أنّ استقراء الأصول الكلية لعلم البلاغة، وجمع الإشارات المتفرقة في كتب البلاغيين، يسمح بتكوين تصور اصطلاحي واضح للملكة البلاغية يمكن صياغته على النحو الآتي: هي صفة راسخة في النفس، تمكّن صاحبها من إدراك مقتضيات المقام إدراكاً تلقائياً، وتؤهله لاختيار الأساليب والتراكيب اللغوية الملائمة للسياق على وجه الإحكام، من غير تكلف أو عناء.

شرح عناصر التعريف: يدلّ وصفها بأنّها صفة راسخة على أنّها ليست مهارة عارضة، بل قدرة مستقرة تتكوّن بالممارسة الطويلة حتى تصبح جزءاً من البنية الذهنية والدوقية للمتكلم. وتمكينها من إدراك مقتضى الحال يعبر عن بعدها المعرفي، حيث يميّز صاحبها بين المقامات المختلفة ويقدر ما يناسب كل حال من توكيد أو إيجاز أو إطناب. أما اختيار الأساليب والتراكيب المناسبة فيكشف عن بعدها الإنتاجي، إذ تمكّنه من صياغة الخطاب البليغ المؤثر بما يوافق المقام والمخاطب.

وخلاصة القول، إن الملكة البلاغية قدرة مركبة، تجمع بين الفهم الدقيق للمقامات، وحسن الاختيار الأسلوبي، والتلقائية في الأداء، وهي ثمرة تفاعل العلم والذوق والتجربة، وبها يتحقق التوافق المحكم بين الحال والمقال.

5. المصطلحات المجاورة للملكة البلاغية وأبعادها الدلالية:

نظرا لاتساع الدلالة المفهومية لمصطلح "الملكة" وتعدد استعمالاته في مجالات معرفية مختلفة، فقد ارتبط بمجموعة من المصطلحات التي تقاطعت معه أو التبتت به، سواء على مستوى اللفظ أو الدلالة، هذا التداخل المفاهيمي حثم ضرورة التوقف عند هذا المصطلح، والقيام بقراءة تحليلية دقيقة تسعى إل ضبط معناه، وتحديد حدوده، تفاديا لأي خلط أو غموض قد ينشأ خلال توظيفه، وبغية إعادة كل مصطلح إل مجاله الدقيق وموقعه المفهومي الصحيح.

وها هنا يحسن التنبيه إلى أن مصطلح "الملكة البلاغية"، وإن لم يرد بصيغته الاصطلاحية المباشرة في المدونات البلاغية التراثية، إلا أن مفهومه كان حاضرا بوضوح في تصورات البلاغيين الأوائل، وقد عبّروا عنه بعبارات ومفاهيم شتى تعكس دلالاته، وإن اختلفت في صيغها ومستوياتها التركيبية، كما نجد هذا المعنى ممتدا في أعمال عدد من الباحثين المعاصرين، الذين استخدموا مصطلحات متعددة تحيل إلى الإطار المفهومي ذاته، بما يدل على رسوخ الفكرة وإن تعددت أوجه التعبير عنها. من هنا تبرز أهمية تتبع هذه المصطلحات ومقارنتها بمصطلح "الملكة البلاغية"، للوقوف على أوجه التداخل والتمايز، وتحرير المقصود بدقة، خاصة في ضوء التوسع المعاصر في استعمال هذا المصطلح ضمن مقاربات لسانية وتداولية حديثة.

1.5 الذوق: عند الرجوع إل الدلالة اللغوية للجزر (ذ و ق) في كتب اللغة، يتبين أن لهذا الجزر معنيين أساسيين: أحدهما حقيقي، والآخر مجازي. فالمعنى الحقيقي يشير إل الحاسة التي يُميز بها الإنسان خواص الأشياء من حيث الطعم. جاء في اللسان: "الذوق مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقا، وذواقا، ومذاقا، فالذوق والمذاق يكونان مصدرين، ويكونان طعما، كما تقول: ذوّاقه ومذاقه طيب، وفي الحديث: لم يكن يذم "ذواقا" (فعال) بمعنى مفعول من الذوق" (منظور، لسان العرب، 2006).

وأما المعنى المجازي، فهو أوسع دلالة، إذ يمتد إل ما يدركه الإنسان عبّ حواسه الأخرى، بل ويتعدى ذلك إلى ما يدركه عقله ووجدانه. ومن ذلك قولهم: "ذُقْتُ فلّانا، وذقت ما عنده، أي خبّته، وتذوّقته، أي: ذقته شيئا فشيئا، وأمر مستذاق، أي مجرب معلوم، وذاق القوس: تعرفها ينظر ما مقدار إعطائها واستذاق الأمر لفلان: انقاد له وطاوع، وهو حسن الذوق للشعر، إذا كان مطبوعا عليه، ودعني أذوق طعم فلان، وتذوقت طعم فراقه" (الزمخشري، 1998، صفحة 320).

يتضح من مجموع هذه الاستخدامات أنّ ثمة دلالة مشتركة بين المعنى الحقيقي والمجازي لكلمة "الذوق"، تتمثل في: السعي إل إدراك حقيقة الشيء، وفهم كنهه، من خلال التجربة والخبرة والمعينة الحسية أو الوجدانية.

ويمكن القول إنّ هذا الامتداد المجازي للكلمة يعكس طبيعة الذوق في التراث العربي بوصفه نشاطا إدراكيا مركبا، لا يقتصر على الإحساس المباشر، بل يتجاوز ذلك إلّ الحس الجمالي، والفهم النقدي، والتقدير الوجداني، وهو ما يؤسّس لمفهوم "الذوق" في البلاغة والنقد والأدب بوصفه أداة للفهم والتقييم، وليس مجرد استجابة عاطفية أو انطباعية. اصطلاحا: تناول عدد من العلماء والمفكرين مفهوم الذوق بوصفه عنصرا جوهريا في مقارنة النصوص الأدبية والبيانية، فقد عرفه ابن خلدون بقوله: "اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان، ومعناها: حصول ملكة البلاغة للسان، وقد مرّ تفسير البلاغة، وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه، بخواص تقع للتركيب في إفادة ذلك، فالمتكلم بلسان العرب والبلغ في يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب، وأنحاء مخاطبتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده، فإذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه أمر التركيب " (خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبّ في تاريخ العرب والبرّ ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 1981)، وعرفه شوقي ضيف تعريفا ركّز فيه على البعد التكويني للذوق، إذ يراه: "ملكة تنشأ من طول الإكباب على قراءة الشعر وآثار الأدباء في القديم والحديث بحيث تصبح استجابة صاحبها لما يقرأ استجابة صحيحة " (ضيف، د ت)، (صفحة 64)، والحقيقة التي يمكن أن تتبيّن من مجمل هذه التعريفات هي أنّ الذوق في الاصطلاح البلاغي قوة إدراكية نفسية تتكوّن لدى الفرد نتيجة الممارسة الطويلة للنصوص الأدبية، ومعايشة أساليب العرب في نظم الكلام، ولا يخفى ما له من أهمية بالغة في إدراك لطائف النصوص ومحاسنها، أو نواقصها وعيوبها، والحكم عليها بمستوى عالٍ من الحس الجمالي والمعرفة البيانية. ومن هنا يتضح أنّ هناك فرقا بين الذوق¹ والملكة، وذلك من وجوه:

أولا: الذوق هو استعداد فطري أو مكتسب يرئ صاحبه إلّ إدراك مواطن الجودة في العمل الأدبي، ومواطن الضعف فيه، بينما الملكة قدرة راسخة و متمكنة في النفس تؤهلها على أداء عمل معين بإتقان.

ثانيا: الذوق قدرة على التقدير بالاستحسان أو بالاستهجان؛ مثل قول القائل إن قصيدة فلان جميلة أو ضعيفة، أما الملكة فهي قدرة على الإبداع والإنتاج؛ مثل قدرة شخص على نظم الشعر بإتقان في أي وقت شاء، فنقول فلان ذو ملكة شعرية.

ثالثا: الذوق مكتسب من كثرة التعرض للنصوص الراقية، والتأمل فيها، بينما الملكة مكتسبة من العلم، وكثرة الممارسة والتدريب.

رابعا: الذوق قد يتفاوت ويصقل مع الزمن، في حين أن الملكة ثابتة وراسخة نسبيا.

2.5 المهارة: هي في اللغة: مصدرٌ أصله من الفعل مهريمهـرمعنى: يُحسن ويحذق، مهارة ومهارة: وهي إحسان فعل شيء والحذاقة فيه، يقال: لم تأت إلى هذا البناء المهرة أي: لم تأته من قبل وجهه ولم تبنيه على ما كان ينبغي

(منظور، لسان العرب، 2006)، ويقال للذي تكلف في الشيء تمهّر أي: قصد الحذق في الصناعة (العربية، 2004، صفحة 700)، ومنه ما روته عائشة رضي الله عنها من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البرة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " (النيسابوري، 1955)، فالماهر هنا الحاذق بالقراءة وهو الذي قد أتقن قراءته. يتضح ممّا تقدّم أنّ لفظ " المهارة " في أصل استعماله اللغوي يحمل معاني الإتقان، والحذق، والإحاطة الدقيقة بالعمل من كافة جوانبه، حتى يقال إن الماهر في صنعة ما هو من بلغ فيها الغاية، وأدرك خفاياها ودقائقها.

أمّا في الاصطلاح، وتحديدًا في مجالي علم النفس والتربية، فقد حظي مصطلح "المهارة" بمكانة بارزة ضمن اهتمامات الباحثين والمتخصصين، لا سيما في سياق دراساتهم المتعلقة بالسلوك الظاهري المتكرر والمنظم. وقد تنوّعت تعريفات الباحثين لهذا المفهوم في صيغها وتعبيراتها، وليس ذلك راجعًا إل التباين المعنوي، وإنما نتيجة اختلاف وجهات النظر وتعدّد الزوايا المعتمدة في مقارنته، فضلًا عن اختلاف درجات التركيز على بعض أبعاده أو مكوناته دون غ يرها. وعلى الرغم من هذا التنوع، فإن تلك التعريفات تظلّ متقاربة في جوهرها، ومتكاملة في دلالاتها. ومن جملة تلك التعريفات أنّ المهارة: " أداء بدني أو ذهني يؤدّي على مستوى عال من الإتقان، وبأقل جهد وفي أقل وقت ممكن، ويتوصل إليه عن طريق الفهم والممارسة والدقة " (المالكي، 1426 هـ)، والمهارة هي: "القدرة على القيام بنشاط عقلي أو انفعالي أو حركي أو جميع ذلك، ويتطلب تعلمها أو اكتسابها السهولة والدّقة واقتصاد الوقت في أدائها " (هاشم، 2004، صفحة 15)، والمهارة في رأي بعضهم: " شيء يمكن تعلمه أو اكتسابه أو تكوينه لدى المتعلم، عن طريق المحاكاة والتدريب، وأن ما يتعلمه يختلف باختلاف نوع المادة وطبيعتها وخصائصها والهدف من تعلمها " (رحاب، 1996، صفحة 283)

وبالنظر في التعريفات المتقدمة يتبيّن أن المهارة تمثل مزيجًا من المعارف والمعلومات والقدرات العقلية، يكتسبها المتعلم تدريجيًا عبّ الزمن، حيث يبدأ بقدر محدود من الكفاءة، ثم يطورها من خلال التدريب والممارسة والتمرين المنظم، حتى تظهر آثار ذلك على شكل سهولة في الأداء، وسلاسة في التنفيذ، وعفوية في الإنجاز.

وبناء على ذلك، يمكن وصف المهارة من خلال عدة أبعاد: أمّا من حيث طريقة الأداء فهي تتّسم بالسهولة والسرعة، وأمّا من حيث جودة الأداء فهي تتّسم بالحذق والإتقان وتحقيق أقصى فاعلية بأقل جهد ووقت، وأمّا من حيث نوع الأداء فهي قد تكون ذهنية أو بدنية أو انفعالية أو مركبة. وعليه، يمكن تعريف المهارة بأنّها: قدرة الفرد على أداء عمل معين بدرجة عالية من الإتقان والسرعة، وبأقل جهد ممكن، نتيجة للتعلم والخبرة المتراكمة. هذا، وقد ذهب بعض المعاصرين إل اعتبار المهارة والملكة مترادفتين، غير أن هذا القول يحتاج إل مراجعة، إذ يلاحظ اختلاف جوهري بينهما من وجهين:

الأول: أنّ المهارة مكتسبة، وتحتاج إل فترة من التدريب المقصود والممارسة المنتظمة حتى تؤدى بكفاءة، في حين أن الملكة قد تكون فطرية أو مكتسبة، لكنها لا تكتسب إلا عبّ زمن طويل ومع التكرار المستمر، حتى تستقر في النفس وتصبح عادة راسخة.

الثاني: المهارة مؤقتة وقد تضعف أو تفقد بالإهمال وعدم الممارسة، بينما الملكة أكثر رسوخا وثباتا، ولا تزول بسهولة لأنها أصبحت جزءا من البنية النفسية والعقلية للفرد.

وبالنظر إلى ما تقدّم، يمكن القول إن المهارة تمثل مرحلة أول أو جزئية من الملكة، وقد تتطور إليها مع مرور الزمن وكثرة التمرين، فمثلا: من يبدأ تعلم فن الخطابة يكتسب أولا مهارة الخطابة، لكن بعد سنوات من الممارسة والتعمق والتجربة، تتحول هذه المهارة إل ملكة راسخة، تمكّنه من الإلقاء والتأثير بسلاسة وبأسلوب متفرد دون عناء ظاهر.

3.5 السليقة: السليقة في اللغة: على وزن فعيلة؛ وهي: الطبيعة والخلقة والسّجية، "وفلان يقرأ بالسليقة أي بطبيعته لا يتعلم، وقيل: يقرأ بالسليقية وهي منسوبة أي بالفصاحة؛ من قولهم سلقوكم وبطبعه الذي نشأ عليه ولغته. ويقول أبو زيد: إنّهُ لكريم الطبيعة والسليقة؛ ويقول ابن الأعرابي: والسليقة المحجة وطبع الرجل، والسليقي من الكلام لا يتعاهد إعرابه، وهو فصيح بليغ في السمع عثور في النحو، والسليقي من الكلام ما تكلم به البدوي بطبعه ولغته، وإن كان غيره من الكلام أثر وأحسن، وفي حديث أبي الأسود الدؤلي: أنه وضع النحو حين اضطرب كلام العرب وغلبت السليقة أي اللغة التي يسترسل فيها المتكلم على سليقته أي سجيته وطبيعته من غير تعمد إعراب ولا تجنب لحن " (منظور، لسان العرب، 2006).

وانطلاقا من هذه المعاني اللغوية، يمكن القول إن السليقة تشير إلى القدرة اللغوية الفطرية التي يولد بها الإنسان، وتُمكّنه من النطق السليم، والفصاحة التلقائية، دون حاجة إل دراسة القواعد أو تعلم النحو والصرف. ومثال ذلك الطفل العربي الذي ينشأ في بيئة لغوية نقية كما في العصر الجاهلي أو صدر الإسلام فيتكلم العربية الفصيحة بطلاقة وطبيعية، دون تعليمٍ نظامي، لأنها جزء من بنيته اللغوية الفطرية. وعليه، يُمكن التمييز بين السليقة والملكة من خلال النقاط الآتية:

أولاً: الفطرية والاكتساب: فالسليقة فطرية خالصة، يولد بها الإنسان، وتكون ملازمة له منذ الصغر، بينما الملكة قد تكون فطرية، لكنها غالبا ما تكون مكتسبة من خلال التعلم، والتدريب، والممارسة المستمرة.

ثانيا: البيئة اللغوية: فالسليقة ترتبط ارتباطا وثيقا بالنشأة في بيئة لغوية طبيعية سليمة؛ حيث يكتسب النطق الصحيح عبّ السماع والمخالطة، في حين أنّ الملكة تنشأ من خلال التعلم المنظم والممارسة الواعية، حتى ولو كانت البيئة غير نقية لغويا.

ثالثا: درجة الرسوخ والاستمرار: السليقة رسوخها مرهون باستمرار البيئة السليمة؛ فإذا فسد المحيط اللغوي، ضَعُفت السَّليقة أو تلاشت، بخلاف الملكة فإنَّها أكثر ثباتا واستمرارية، إذ يمكن أن تبقى راسخة حتى لو تغيرت البيئة، لأنها تقوم على تمرس طويل وتكرار واعي.

رابعا: المستوى العقلي والعمرى: السليقة يمكن أن تظهر عند الطفل الصغير دون وعي منه أو معرفة بالقواعد، بينما الملكة تتطلب درجة من النضج العقلي والجهد المعرفي، ولا تكتسب إلا بمرور الوقت وتراكم الخبرة.

خامسا: العفوية مقابل الإرادة: السليقة تمارس اللغة بشكل عفوي وتلقائي، بخلاف الملكة فإنَّها نتاج إرادة ومثابرة وتعلم متدرج.

حاصل القول: إنَّ السَّليقة تمثل القدرة الطبيعية الفطرية التي تعبّر عن كفاءة لغوية مبكرة وسليمة، تظهر لدى الفرد الذي نشأ في بيئة لغوية نقية، حيث تتيح له التَّكلم بفصاحة دون الحاجة إل قواعد أو تعليم، أمَّا الملكة فهي قدرة مكتسبة أو فطرية ينمّيها الفرد عبر التَّعلم والتَّكرار، وتعدّ أكثر ثباتا وقابلية للاستمرار حتى في بيئات لغوية غير مثالية، وبهذا المعنى، يمكن اعتبار المهارة جزءا من الملكة، كما يمكن اعتبار السليقة مرحلة سابقة للملكة، لكنَّها لا ترقى إلى رسوخها أو شمولها، وإن اشتركت معها في بعض الخصائص من حيث الإنتاج التلقائي للغة.

6. خاتمة: كان من النتائج التي تأدّت إليها هذه الدراسة ما يلي:

. تمثّل الملكة البلاغية قدرة عقلية ولسانية متكاملة، تجمع بين الفهم العميق للمقامات الخطابية، وحسن اختيار الأساليب، والإنتاج التلقائي للكلام البليغ.

. المصطلحات المجاورة للملكة مثل المهارة، القدرة، الكفاءة، والذوق تمثل مستويات مختلفة من التمكن، لكنها لا ترقى منفردة إلى مستوى الملكة.

. على الرغم من أن مصطلح الملكة لم يرد بصيغته الاصطلاحية الصريحة في كتب البلاغيين المتقدمين، فإن مضمونه كان حاضرا بوضوح من خلال مصطلحات متعددة تدور حول نفس الإطار المفهومي.

. ضرورة ضبط مفهوم الملكة البلاغية وترشيد استعماله لتفادي أي خلط منهجي مع المصطلحات المتقاربة، وضمان وضوح التطبيق في الدراسات البلاغية الحديثة.

قائمة المراجع:

- ابن منظور. (2006م). *لسان العرب*. بيروت، لبنان، ج 13: دار صبح.
- الجاحظ. (2003). *البيان والتبيين*. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجرجاني (1405هـ). *التعريفات*. مصر: دار الكتاب العربي.
- الزمخشري. (1998). *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزيات، أ. ح. (1945). *دفاع عن البلاغة*. القاهرة: مطبعة الرسالة.
- العربية، م. أ. (2004). *المعجم الوسيط*. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- العنكوري، (ع. أ.) (د. ت.). *منهجية تدريس مادة علوم الحياة والأرض عبر مدخل الكفاية*. المربي، 17،
- الفرج، م. أ. (1966). *مقدمة لدراسة فقه اللغة*. بيروت: دار النهضة.
- الفيروزآبادي 1979 م. (*القاموس المحيط*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الفيروزآبادي. (2007). *القاموس المحيط*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- القرطاجي، ح. (1986). *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- المالكي، ع. أ. (1426هـ) مهارات التربية الإسلامية. 20، 106 .
- النيسابوري، م. ب. (1955). *صحيح مسلم*. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- بوكرمة، ف. أ. (2008). *الكفاءة مفاهيم ونظريات*. الجزائر: دار هومة.
- حثروبي، م. أ. (2002). *المدخل إلى التدريس بالكفاءات*. عين مليلة الجزائر: دار الهدى.
- حسونات، ر. أ. (2002م) *المعالم الإجرائية للمقاربة*. الجزائر: دار الأمل.
- خلدون، ع. أ. (1981). *العبر وديوان المبتدأ والخب في تاريخ العرب والتبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. بيروت: دار الفكر.
- ضيف، ش (د. ت.). *البحث الأدبي طبيعته مناهجه أصوله مصادره*، ط7، ص64. القاهرة: دار المعارف.
- غريب، ع (2011م)، *بيداغوجيا الإدماج نماذج وأساليب التطبيق والتقييم*. الدار البيضاء: منشورات عالم التربية.
- فارس، أ. (1979). *معجم مقاييس اللغة*. سورية: دار الفكر.
- هاشم، أ. م. (2004). *سيكولوجية المهارات*. مكتبة زهراء الشرق: القاهرة.